« أم تظنون أنكم بذلك تكفّرون عن ذنب افترفتموه نحوي؟ فعبثاً تكفّرون إذ انني ، حيث أنا اليوم ، لا أطلب كفّارة عن ذنب ولا أحمل في قلبي حقداً ضد أحد . حتى إن أعدائي الذين صرعوني بالأمس قد أصبحوا اليوم إخواناً وأعواناً لي .

« فعلامَ تضجون ؟

« أم تحسبون أنكم تكرمون ذكري بتشريف رفاتي ؟ فهل أنتم تكرمون إلا ذواتكم . وهل أنا في حاجة إلى تكريمكم ؟

« لقد رحلت عنكم إلى عالم لا رفيع فيه ولا وضيع ، ولا ملك ولا مملوك ؛ لذلك فلا حضور ملككم هذه الجنازة يشرّفني ، ولا قرب وزرائكم وقوّادكم وأحباركم يرفعني . ولا منظر جماهيركم يطربني ، ولا دفن عظامي في مدفن ملوككم وأعيانكم يمجدني .

« فعلامَ نقلتم عظامي من الأرض التي اقتبلتْها أولاً إلى أرض غريبة عنها ؟

« إذا كان في الجوار من شرف فجوار رفاقي الذين قضوا معي في الحرب لأشرف لعظامي من جوار الملوك .

« علامَ نقلتموني من تربة كان لِنبتها من عظامي بعض الغذاء إلى تربة لا نبت فيها تغذيه عظامي ؟

« علامَ نقلتموني من جدث تقبّله الشمس ، وتغسله السحب ، وتحجّ إليه الرياح ، لتواروني جدثاً لا تراه الشمس